بتاريخ 29 جمادى الثانى 1446
المواسعة و المضايقة

الجلسة 50

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمْ
الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينْ وَصَلَى الله عَلَىٰ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِين

استِتمام الاستدلال الفاخِر لصاحب الجواهِر

1. و أنّهم جُعلوا شهداءَ على النّاس في أعمالهم.[1]

2. و أنّ ملائكة الليل و النهار كانوا يَشهدون مع النبي (صلى اللّه عليه و آله) صلاة الفجر (فكيف تَنقضي صبحه صلى الله عليه و آله)

3. و أن الملائكة كانوا يأتون الأئمة (عليهم السلام) عند وقت كل صلاة، و أنهم ما من يوم و لا ساعة و لا وقت صلاة إلا و هم يُنبّهونهم لها ليصلّوا معهم.

4. و أنهم كانوا مؤيَّدين بروح القدس يُخبرِهم و يُسدّدهم.[2]

5. و لا يُصيبهم الحدَثان (أي أحداث الليل و النّهار) و لا يَلهو (الرّوح) و لا ينام و لا يغفَل (حتّى بلَحظة واحدة).

6. و به (روح القدس) علموا ما دون العرش إلى ما تحت الثرى، و رأوا ما في شرق الأرض و غربها، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا اللّه، كما ورد[3] أنّهم لا يعرفهم إلا اللّه و لا يعرف اللّه حقَّ المعرفة إلا هم.

7. و ليسوا هم أقلَّ من الدّيكة (فحل الدّجاج) التي تصرُخ في أوقات الصّلوات و في أواخر اللّيل لسماعها صوتَ تسبيح ديك السّماء الذي هو من الملائكة و عُرفُه (و تاجُه) تحتَ العرش و رجلاه (الدّيک السّماء) في تُخوم الأرض السابعة، و جناحاه يُجاوزان المشرقَ و المغرب، و آخر تسبيحه في الليل بعد طلوع الفجر «ربّنا الرّحمن لا إلهَ غيره»[4] ليقم الغافلون، تعالوا عن ذلك علوا كبيراً.»

الإشكال القاهِر على تبرير صاحب الجواهِر

و رغمَ بَراعة إجابته على «سهو المعصوم و نومه» إلا أنّه قد ختَم حوارَه بذَيل مهزوز ـ نظير التّذييل المَشوب للشّيخ الأعظم سلفاً[5] ـ قائلاً:

«نعم لو أمكن دعوى ثبوت تكاليف خاصّة لهم (بحيث سوف) تَقوم مقام هذه التّكاليف (بنحو قد استُبدلَت صلاة الصّبح بذاک التّكليف الخاصّ) اتّجه دعوى جواز نومهم عنها (إذ قد كُلِّف بتكليف آخر أهمّ من الصّلاة) و ربما يُومي اليه قول النبي (صلى اللّه عليه و آله): «أصابكم فيه الغفلة» (فقد خاطبهم بالإصابة من دون أن يُدرِج نفسَه معهم) و قوله (صلى اللّه عليه و آله): «نِمتم

بوادي الشّيطان» و اللّه أعلم بحقيقة الحال.»[6]

و نُهاجِم هذه الدّعوى المَنبوذة:

ـ أوّلاً: لم يَتسجَّل لدينا دليل على طروء تكليف خاصّ في تلك الفترة ـ بحيث قد استُبدلت صلاة صبح النبيّ بتكليف آخر، فلا داعيَ لتبرير هذه الرّوايات المتزلزلة ـ حجيّتُها و مضامينُها ـ و بالأخصّ أنّ روايات الفضائل و العصمة المطلَقة قد تواترَت بحقّهم بكلّ وضوح.

ـ ثانياً: أساساً قد اختَلف الأعاظم بشدّة في مداليلها و محتويَاتها ـ وفقاً لما سنَبسُطه لاحقاً ـ بحيث إنّ هذه التّشتُّتات و الانصدامات ستَجرَح حجيّتَها و ظهورها تماماً.

و ستَتَّضح بقيّة الإشكالات أيضاً لدى إجاباتنا على الخطَأ الفادِح للشّيخ الصّدوق رحمه الله تعالى في هذا المضمار، حيث قد فسَّر السّهوَ «بالإسهاء» و النّومَ «بالإنامة» قائلاً:

«وَ لَيْسَ سَهْوُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ كَسَهْوِنَا لِأَنَّ سَهْوَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ إِنَّمَا أَسْهَاهُ:

1. لِيُعْلِمَ أَنَّهُ بَشَرٌ مَخْلُوقٌ فَلاَ يُتَّخَذَ رَبّاً مَعْبُوداً دُونَهُ.

2. وَ لِيَعْلَمَ النَّاسُ بِسَهْوِهِ حُكْمَ السَّهْوِ (شرعاً) مَتَى سَهَوْا.

وَ سَهْوُنَا مِنَ الشَّيْطَانِ وَ لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ اَلْأَئِمَّةِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ «إِنَّمٰا سُلْطٰانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَ الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ»[7] وَ عَلَى مَنْ تَبِعَهُ مِنَ الْغَاوِينَ».[8]

و نُحاجِجه بكلّ اعتزاز:

ـ أوّلاً: لم تَنحصِر معرفة أنّه «بشر مخلوق» بأن يوقعه الله تعالى في الإسهاء فإنّ النّاس المُتعايشِين مع النّبيّ قد أبصروا أكله و مشيه ضمن الأسواق و .... حيث قد صرّحت الآية التّالية: « «وَ قٰالُوا مٰا لِهٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعٰامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْوٰاقِ لَوْ لاٰ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ»[9] و كذا الآية: «وَ مٰا أَرْسَلْنٰا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاّٰ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعٰامَ وَ يَمْشُونَ فِي الْأَسْوٰاقِ»[10] فبالتّالي إنّ الأمّة برُمَّتها ـ آنذاك ـ قد ترسَّخت ببالهم أنّه «بشر مخلوق» فلا يَحقّ لنا أن نَعتقد بالإسهاء حتّى نُسجِّل به مخلوقيّة النبيّ صلوات عليه و آله بل يُعدّ نقصاً و نقضاً لعصمته تماماً ـ وفقاً للدلائل المُجوهَرة ضمن الجواهر ـ.

ـ ثانياً: إنّ إبلاغ الحكم الشّرعيّ لا يَتحدَّد بإسهاء النبيّ إذ بوُسع المولى أن يُضيئ لنا أحكام السّهو و أبعاده عبرَ التّبيان و الإيضاح من دون أن يَتورّط الشّارع في هذه الزّلات النَّكراء بحقّ نبيّه صلوات الله عليه و آله.

ـ ثالثاً: أساساً إنّ هذه الرّوايات الواهيات لا تَنسجِم لا مع السّهو و لا الإسهاء و لا النّوم و الإنامة إطلاقاً إذ قد استَفاضت روايات متكاثرة بأنّ روح القدس سيَدعَمهم تماماً فلا يَدَعهم يَسهون.[11]

ـ رابعاً: إنّ الدّليل العقليّ الذي قد بَرهن لنا عصمتَهم لا يَخضَع للتّخصيص نهائيّاً حتّى بمورد واحد ـ في نوم النبيّ ـ إذ قد استَبان بل قد تسالم الأعلام بأنّ الأدلة العقليّة لا تَستقبل الاستثناء، فلو افترَضنا ـ جدلاً ـ استثناءً واحداً لانهارَت أركان العصمة بأسرها إذ

نقيض الموجبة الكليّة هي السالبة الجزئيّة.

ـ رابعاً: فلنَنتَبِه بأنّ تلك الرّوايات الموهومات لا تُقاوِم تواتر روايات الفضائل و العصمة إذ قد استَيقَنّا بها تماماً من دون أن تُخدَش أو تَتزلزل، ففي هذه الحَلبة قد صرَّح الإمام الرّضا عليه السّلام ضمن رواية مفصَّلة قائلاً: «فَهُوَ مَعْصُومٌ مُؤَيَّدٌ مُوَفَّقٌ مُسَدَّدٌ قَدْ أَمِنَ مِنَ الْخَطَايَا وَ الزَّلَلِ وَ الْعِثَارِ يَخُصُّهُ اللَّهُ بِذَلِكَ لِيَكُونَ حُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ وَ شَاهِدَهُ عَلَى خَلْقِه»[12]

---

[1] و ذلک وفقاً لتظافر الآيات الكريمة بهذا الشّأن نظير: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ» (سورة الإسراء الآية71). و نظير: «وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ سَتُرَدُّونَ إِلىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (سورة التّوبة الآية 105). ونظير «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هٰؤُلَاءِ شَهِيداً» (سورة النّساء الآية 41). و نظير «وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً» (سورة البقرة الآية 143).

و خبر بريد العجلي المروي في أصول الكافي أيضا ج ١ ص ١٩٠ قال: «سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن قول اللّه عز و جل «وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» قال: نحن الأمة الوسطى و نحن شهداء اللّه على خلقه و حججه في أرضه، قلت: قول اللّه عز و جل «مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ» قال: إيانا عنى خاصة هو سماكم المسلمين من قبل في الكتب التي مضت و في هذا القرآن ليكون الرسول عليكم شهيدا فرسول اللّه (ص) الشهيد علينا بما بلغنا عن اللّه عز و جل و نحن الشهداء على الناس، فمن صدق صدقناه يوم القيامة و من كذب كذبناه يوم القيامة».

[2] و خبر مفضل ابن عمر المروي في بصائر الدرجات في الموضع المشار اليه ـ الحديث ٣ قال: «قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض و هو في بيته مرخى عليه ستره، فقال: يا مفضل ان اللّه تبارك و تعالى جعل للنبي (ص) خمسة أرواح: روح الحياة فيه دب و درج، و روح القوة فيه نهض و جاهد و روح الشهوة فيه أكل و شرب و أتى النساء من الحلال، و روح الإيمان فيه أمر و عدل، و روح القدس فيه حمل النبوة، فإذا قبض النبي (ص) انتقل روح القدس فصار في الإمام عليه السلام، و روح القدس لا ينام و لا يغفل و لا يلهو و لا يسهو، و الأربعة الأرواح تنام و تلهو و تغفل و تسهو، و روح القدس ثابت يرى به ما في شرق الأرض و غربها و برها و بحرها، قلت: جعلت فداك يتناول الإمام عليه السلام ما ببغداد بيده؟ قال: نعم و ما دون العرش».

[3] البحار ج ٣٩ ص ٨٤ المطبوعة عام ١٣٨١ عن المناقب لابن شهرآشوب.

[4] روضة الكافي ص ٢٧٢ ـ الرقم ٤٠٦ الطبع الحديث مع اختلاف يسير.

[5] حيث قد برَّر هذه الرّوايات الشّائنة قائلاً: «اللّهمّ إلاّ أن يقال (في تبرير هذه الرّوايات): بإمكان سقوط أداء الصلاة عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلم في ذلك الوقت لمصلحة علِمَها اللّه سبحانه (ففي خصوص النّبيّ فقط، قد سقطت فعليّة الصّلاة آنذاک لنكتة غيبيّة إلهيّة) فإنّ اشتراكه صلّى اللّه عليه و آله و سلم مع غيره في هذا التكليف الخاصّ ليس الدليلُ عليه أوضحَ من الأخبار المذكورة (إذن فلا يَجري قانون الاشتراک) حتّى يوجبَ (الاشتراک) طرحَها (بل يجب حفظ الرّواية بحيث سنتصرَّف في دليل الاشتراک» (رسالة في المواسعة و المضايقة ص323.)

[6] صاحب جواهر محمدحسن بن باقر. جواهر الكلام (ط. القديمة). Vol. 13. ص76 بيروت ـ لبنان: دار إحياء التراث العربي.

[7] يَبدو أنّ الآية لا تُلائم محط حوارنا ـالسّهو من الشّيطانـ لأنّها تتحدّث حول الفسّاق أو الكفّار الّذين يتولّونَه بينما الصّلحاء و المؤمنون و أقرانهم كثيراً ما تَعرُضهم الشّكوک و السّهو و الغفلات و الوسوسات ضمن الصلاة في حين أنّهم لم يَتّخذوا الشيطان وليّاً و سلطانا، فكان من الأجدر ألّا يَستشهِد بهذه الآية الكريمة.

[8] ابنبابويه محمد بن على. من لا يحضره الفقيه. Vol. 1. ص360 جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم. مؤسسة النشر الإسلامي.

[9] سورة الفرقان الآية 7.

[10] نفس السّورة الآية 20.

[11] و ذلک وفقاً لخبر مفضل ابن عمر المروي في بصائر الدرجات في الموضع المشار اليه مسبقاً ـ الحديث ٣ قال: «قلت لأبي

عبد اللّه عليه السلام سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض و هو في بيته مرخى عليه ستره، فقال: يا مفضل ان اللّه تبارك و تعالى جعل للنبي (ص) خمسة أرواح: روح الحياة فيه دب و درج، و روح القوة فيه نهض و جاهد و روح الشهوة فيه أكل و شرب و أتى النساء من الحلال، و روح الإيمان فيه أمر و عدل، و روح القدس فيه حمل النبوة، فإذا قبض النبي (ص) انتقل روح القدس فصار في الإمام عليه السلام، و روح القدس لا ينام و لا يغفل و لا يلهو و لا يسهو، و الأربعة الأرواح تنام و تلهو و تغفل و تسهو، و روح القدس ثابت يرى به ما في شرق الأرض و غربها و برها و بحرها، قلت: جعلت فداك يتناول الإمام عليه السلام ما ببغداد بيده؟ قال: نعم و ما دون العرش».

[12] كلينى محمد بن يعقوب. الكافي (اسلاميه). Vol. 1. ص202 تهران ـ ايران: دار الكتب الإسلامية.